



الإبداع هو ابن الحرية المدلل، يتربّع في كنفها، ويُكَبِّرُ مثل نبتة خضراء أصلها ثابت وفرعها نابت، تطرح خضراء، تمور في بيضاء قاحلة تحيلها حنة غناء،

وفي حضن الحرية ولد الإبداع السوري و شبّ عن الطوق جداً، لا شيء يقف في وجه طموحاته، و شعاره الأساسي هو ثورة حتى النصر، خطّه على لافتات، و رسمه لوحات، و زين به جدران الأزقة والحرارات، و جسده مجسمات، و حوله إلى أسلحة حربية و مدافع و رشاشات، و شكّله من كانات و فنّاءات، و سطّره حروفًا متلائمة على آلاف الصفحات.

إبداع مزج الحزن بالفرح، و الدمع بالابتسام، و الجد بالفكاهة المغفرة بالظرافة و الطرافه.  
إبداع مجنون تارة أخرى، هادئ رزين مرة و صاحب مجلجل مرة أخرى،  
إبداع يجعل العاشقين يطيرون من أصقاع الدنيا ليحصلوا على إمضائه، و صورة تذكارية معه، و قبلة منه تهفهم الحياة، مع  
أن إرضاء العاشقين هو معجزة المعجزات

مع انطلاق الثورة السورية، جاحد النظام الأسدی بترويج نظرية العصابات المسلحة، فما أنكرها أهل حمص، و أظهرها للعالم أسلحتهم التي واجهوا بها رصاص الغدر، فصنعوا مدفعاً من بوري المدفأة (الصوببيا)، و صنعوا قاذف بصل و قاذف كوسا كاتيوشا، و رشاش بامية كلاشينکوف، و قنابل باذنجان موقوتة، و ذهب إبداعهم إلى تصميم منكان ربطوه بحبل

يحرّكونه به كمسرح كركوز وعيواط، وجعلوا منه هدفاً للقناصة، وكم سيروا حميراً في الطرقات كتبوا عليها) أنا يشار( فدفعت المسكينة عمرها شهيدة الثورة بعد أن نال منها رصاص الحقد الانتقامي، وكم خرج أهالي حمص في مظاهرات يحملون البطا على أكتافهم، و حين ضاق الأمن ذرعاً بتكتيراتهم المسائية،

قرر أبو مصعب التيفالي أن يشارك الطناجر في خضم الثورة، وأطلق صيحته الشهيرة (الله أكبر يا بلادي طنجري) فهرع الثائرون يقرعون الطناجر في كل الأحياء مدوية، وغنووا " حتى الطناجر في بلادي قرقعت و تقرقت، هذا الضجيج مؤذناً حريري اليوم استوت" وأسفرت الثورةطنجرية عن اعتقال مئات الطناجر واستشهاد عشرات الطوبات وإصابة الآلاف من الصوانى بجرح بالغة، وقد منعوا مشاركة الصوانى الصينية لمنع أي تدخل أجنبي سافر في ثورتهم المباركة . شباب كفر نبل، كان لهم بصمة لا تنسي على مر التاريخ في إبداعهم للافتات الثورة و عباراتها المميزة التي نمت عن ثقافة عميقه و فكر خلاق، و طرافة أدهشت الألباب، ولم يكن غريباً أن نجد إحدى لافتاتهم تتصدر صحيفة كندية شهيرة و تدخل التاريخ من أنبأ أبوابه.

و إذا كانت حمص قلب الثورة السورية فإن كفر نبل هي شريانها الأبهى، فكم طالبت بزيادة عدد الدبابات في شوارعها لخفف عن حمص الجريحة ! و كم نادوها قائلين " حمص الشهيدة: يا خنجرأ في خاصرة الإنسانية " و لكم قالوا " ليقف العالم كله ضدنا، لا نهتم مادامت حمص في صفا ، وهم أول من أطلق على حمص لقب "أعجوبة العالم الثامنة" و هم من قال " فقط في سوريا: معدل سقوط الشهداء يفوق معدل سقوط الأمطار" و هم من عصر سويداء قلوبنا حين قالوا " أيا وطني جعلوك مسلسل رعب نتابع أحداثه في المساء، فكيف نراك إذا قطعوا الكهرباء؟ " و كم نداء وجهوا للعالم الرعديد الجبان فواحد يخاطب رجب طيب أردوغان " رجب: حوش صاحبك عنا " وواحد يخاطب رئيس لجنة المراقبين العرب " الدابي: رجاء احذر الإيدز و فهمك كفاية " و خاطبوا برهان غليون قائلين " برهان: هيئة التنسيق رجز فاجتنبهم " و خاطبوا نبيل العربي قائلين " لست نبيلاً و لست عربياً " و خاطبوا روسيا قائلين " إلى الحكومة الروسية من كان له دين على الهالك حافظ فليراجع خادم الحرمين الشريفين حفظه الله " و خاطبوا العالم قائلين " إلى من يهمه الأمر: لقد ملّ منا الموت " . و لا أنسى روعة عبارتهم: " أيها المارون بين الكلمات العابرة: اجمعوا مراقبيك و انصرفوا، آن أن تنصرفوا". و جاءت لافتات عامودا لتحاكي في روعتها لافتات كفرنبل، و نمت عن الوعي و الثقافة و التعالي على الخوف و اليأس، و الكثير الكثير من الشفافية و العفوية و روح الدعاية، إن شعباً قادراً على الابتسام في خضم الألم لهو شعب جدير أن يحيا في عزة و كبراء، أن يكون حراً و حرراً و حرراً. من قلب عامودا جاءت الصرخة: " إلى فيفا: الملاعب السورية تحولت إلى سجون، نطالب بالتدخل الكروي"، و تلتها صرخة استغاثة لإخوتنا المصريين كي يمنعوا دخول بواخر الأسلحة الإيرانية و الروسية القادمة إلى سوريا فكتبو: " إلى المصريين حين كتبوا: " مفتى الجمهورية العربية السورية يتدخل في كل الشؤون السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية إلا الشؤون الدينية؟؟؟، و استهزأاً بلافروف و مباراته الدموية كتبوا: " لافروف مثل توورووت في برنامج تلفزيوني "، و ردآ على المجازر التي يرتكبها الأسد بحق شعبه كتبوا " ترقبوا افتتاح معاهد الأسد لتعليم القتل و الذبح و الإرهاب: لسنا الوحديين لكننا الأكثر خبرة"

و كم من الألم حملت لافتتهم حين قالوا: " أيها العالم لماذا عطشكم الشديد في رمضان لا ترويه سوى دمائنا؟ " نعم، هؤلاء هم أهل عامودا ، عامودا التي غرق مركبها في البحر حاماً من فرّ من الموت في المخيمات التركية ليحتضنه الموت بين لجو البحر، هكذا البحر غدار بطبيعة، لم يرحم حتى أئين المعذبين المهجرين في الأرض.

**أي شقاء يعيش السوري فقط لأنّه غنى للحرية؟**

و في غمرة الحديث عن الإبداع لا ننسى مظاهرة الخشب والقماش في مدينة داريا بريف دمشق، تطالب بإسقاط النظام

قد يبدو الخبر أقرب للنكتة ، ولكن مدينة داريا جعلته حقيقة، ولم يكن الهدف من وراء هذا الابتکار السوري السخرية من نظام الأسد، وإنما العكس تماماً، كانت فكرة مظاهرة الفزاعات أو الأشخاص الخشبية طريقة جديدة للتظاهر، توصل رسالة أنه لو لم يبق رجال ونساء في سوريا فسوف تخرج الشخصوص الخشبية لتتظاهر ضد النظام وترفض سياساته".

داريا مدينة في ريف دمشق، خرجمت للتظاهر مع بداية الثورة، لتنال هي وجاراتها مدينة المعضمية عقاباً قاسياً من قبل النظام الأسدية، و ردأ على المجازر التي ارتکبها النظام الأسدية بحق الشعب السوري، قام شباب داريا بتحضير عدد من الفزاعات على شكل جسم الإنسان وألبسوها ثياباً متعددة ظهرت بها الفزاعات كأشخاصٍ في أعمار مختلفة، وتم لصق شعارات متعددة على هذه الفزاعات فبدت كل فزاعة كمتظاهر في قلب المظاهرة.

ووضعت الفزاعات في وسط المدينة في ساحة تربة داريا بعد أن قطعوا الطرقات المحيطة، تحسباً لعودة الموكب الأمني فجأةً لتكون مكاناً للمظاهرة الحدث، لاسيما أن هذه الساحة هي المكان المفضل لعناصر الأمن في كل اقتحام للمدينة يتمركزون وينتشرون فيها ويرهبون الناس منها.

وفي صباح اليوم التالي الأحد 16/07/2012 دخل موكب الأمن مدينة داريا ووصل إلى ساحة التربة ليتفاجأ بوجود الفزاعات هناك، فما كان منهم إلا أن بدؤوا بإطلاق النار الكثيف عليها لتخريبها وتكسيرها، ثم انسحبوا عائدين إلى أوكارهم، ليقوم الشباب بعد ذلك من جديد بإعادة ما تبقى " حيّاً" من الفزاعات إلى مكانها لتابع ما سماه ناشط "نشاطها الثوري". و دفعت داريا ثمناً باهظاً: أكبر مجرفة شهدتها سورية في ظل الأحداث التي يعيشها الشعب السوري منذ انطلاق ثورته المجيدة، مجرفة راح ضحيتها ما يقارب الألف شهيد ارتفوا إلى جنان الخلد كشاهد على أبغض جريمة ارتكبها رئيس بحق شعبه في التاريخ.

لم ينته حديث الإبداع، و لن ينته، ففي كل يوم قصة جديدة و تحفة قيمة يهديها الشعب السوري البطل فداء للحرية، و إن كان ثوار الأرض يخطون بدمائهم الزكية ملامح النصر فإن ثوار البث الإعلامي عاشوا الألم على صفحات الفيسbook، فأبدعوا و أبدعوا، و للحديث عنهم نكهة خاصة بلون الألم و بلون الأمل و بلون ربيع النصر القادم. و للحديث صلة...

المصادر: